"دور التكامل الحضاري في البنى الاجتماعية للمدنية العراقية القديمة"

م.د.احمد لفتة رهمة القصير م.م.فرقان علاء الدين بدر السعد

جامعة القادسية / كلية الآثار

الخلاصة :

شهدت القرى الزراعية الاولى التي نشأت في حضارة وادي الرافدين على ضفاف نهري دجلة و الفرات تطوراً كبيراً خلال الالفين الخامس و الرابع قبل الميلاد ، و غدى بعضها من المدن المهمة و المراكز الحضارية التي كان لها دورها المؤثر في نضوج الحضارة العراقية القديمة و بلوغها قمة ازدهارها في العصور التأريخية اللاحقة ، اذ نشأت المدينة العراقية القديمة على اساس مجموعة من البنى و العوامل الاجتماعية و البيئية لتي يمكن ايجاز اهمها (تجمع مجموعة من القرى يقوم بينها تنظيم اجتماعي على ضفاف الانهار او عند مصباتها) ، الأمر الذي اتاح عملية توفير فائض الانتاج الغذائي الزراعي ن و بالتالي تفرغ العديد من ابناء هذه المدن لمزاولة المهن و الحرف و الاهتمام بالتنظيم الاجتماعي فيها الذي كان يقوم بالدرجة الأساس على الأسس الدينية .

ان التكامل يعني النضج و النضج بمعناه العام يشير الى اكتمال النمو بما يؤهل اياً كان بايولوجيا ام تجريدياً (مدينة) الى الاستغلال الكامل لما هو متاح من موارد بشرية و طبيعية و امكانات بشرية بالنسبة الى التكامل الحضاري ، و النضج الحضاري يأتي من امتلاك القدرة على التفاعل الايجابي الذي يحدث بين الانسان و بيئته الطبيعية و الاجتماعية ، فكانت المدينة العراقية القديمة العامل الاساسي في هذا التفاعل الايجابي الخلاّق الذي اهَّل الانسان العراقي القديم في تلك المدينة الى ان يكون احد اهم اطراف هذه المعادلة التفاعلية ، و انما يقصد الباحث بمفهوم التفاعل الايجابي المستعار من علم الاجتماع .. هو عملية تمثيل القيم و المفاهيم الحضرية (قيم الحياة المدنية) و الحضارية (القيم التي تسهم في تقبل او تسريع تقبل التغيير الاجتماعي الذي يحدث ظهور القيم الجديدة بسبب الاختراع) ، و من هنا فقد اكتسب الانسان العراقي القديم هذه الميزة من المدينة التي عاش فيها بتمدن و تحضر لا

تظاهيها في حينها حضارة مثل حضارة وادي الرافدين كانت من التكامل الحضاري ما مكنها من بؤرة او مركز العالم انذاك .

لقد حافظت المدينة العراقية القديمة على اهميتها و على مكانتها الحضارية و مركزها السياسي او الديني لفترة طويلة من الزمن عبر عصور تأريخية مختلفة و تعاقب على السكنى فيها اقوامٌ مختلفة ، و مع ذلك ظلت محافظة على طابعها الخاص حتى غدت الحضارة العراقية حضارةٌ واحدة متكاملة ، مما يشير الى قدرة العراقيين القدماء الفائقة في استيعاب جميع العناصر الحضارية ، و صهرها في بوتقة عراقية واحدة يطغى عليها طابع خاص مميز .

و ان ذلك لا يتقاطع او يتنافر مع اصالة الحضارة العراقية على الرغم من ان بعض المتخصِّصين في الآثار و تأريخ الحضارات القديمة يرون ان الحضارة العراقية القديمة قد اقتبست العديد من العناصر الحضارية من غيرها من الحضارات المعاصرة او السابقة لها ، إلا ان هذا الاقتباس تميَّز بأخذ ما هو نافع و مفيد من عملية التواصل الاجتماعي ان لم يكن تطويره و ترك او الاستغناء عما لا يمثل هذه السمة من العناصر الحضارية المتاحة او الوافدة ، اذ ان المدينة الكبيرة بأمكاناتها الكبيرة تكون بطبيعها مركز جذب للسكان و الهجرات الوافدة اليها مقابل ان تعمل هذه المدينة على مساعدة هؤلاء الوافدين على تمثيل القيم الحضارية لهذه المدينة و بالتالي الاندماج (تكسبهم طابعها الخاص "عراقيتها") .